استقطاب مدينة فاس للعلماء والطلبة خلال العصر الوسيط

الدكتورة حنان الحقوني
باحثة في تاريخ المغرب خلال العصر الوسيط
حاصلة على شهادة الدكتوراه من كلية الآداب فاس–المغرب
المغرب

من حظ مدينة فاس أنها استقطبت منذ التخطيط لتأسيسها فئات متنوعة ثقافيا ومحنكة علميا وفكريا؛ وذلك باستقبالها الهجرات القيروانية والأندلسية إضافة إلى الساكنة الأصلية فأصبحت تربتها جاهزة لزرع شجرة العلم والعلماء الذين تحملوا مشقة الذهاب والإياب والدخول إلى أصقاع عديدة قصد النهل من المعارف والعلوم وجلبها لمدينتهم، أو نشر معارفهم في بقاع مختلفة.

ونظرا لأهمية الرحلة العلمية منذ ظهور الدولة الإسلامية وحاجة المغرب الأقصى لها لتوطيد دعائم الإسلام والتعرف على مختلف العلوم؛ فقد ارتأينا دراستها انطلاقا من مدينة فاس منذ تأسيسها إلى حدود نهاية الدولة الموحدية (192/ 646هـ -808/ 1249م)، منطلقين من إشكالية مركزية وهي:

إلى أي حد تمكنت مدينة فاس من استقطاب العلماء وطلبة العلم منذ تأسيسها إلى نهاية الدولة الموحدية؟

ولدراسة هذه الإشكالية سنقسم البحث إلى محورين رئيسيين وهما:

المحور الأول: أهمية مدينة فاس الفكرية منذ تأسيسها إلى نهاية الدولة الموحدية.

المحور الثاني: الرحلات العلمية الوافدة على مدينة فاس.

المحور الأول: أهمية مدينة فاس الفكرية منذ تأسيسها إلى نهاية الدولة الموحدية.

حظيت مدينة فاس منذ تأسيسها بأهمية علمية وفكرية وظهر ذلك مع دعاء الإمام إدريس أثناء تأسيسه لها وقوله: "**اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك وتقام بها حدودك، واجعل أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها**"[1] ، وقد وصفها اليعقوبي منذ القرن الثالث الهجري (ت. 284هـ) بـ: "**المدينة العظمى**"[2]، أما الشريف الإدريسي فقد قال عنها: "**مدينة فاس قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى**"[3]، وحتى في الفترات التي لم تكن فيها فاس عاصمة لم تتنازل عن وظيفتها الفكرية والعلمية حيث وصفها المراكشي خلال فترة حكم الموحدين قائلا: " **هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا وموضع العلم منه، اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة... رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة، فرارا من الفتنة، فنزل أكثرهم مدينة فاس، فهي اليوم على غاية الحضارة،...وما زلت أسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب...**"[4] هذا الوصف الذي قدمه لنا عبد الواحد المراكشي يدل دلالة صريحة على العلائق الفكرية التي ربطت فاس بمجالات متباينة ليس فقط خلال القرن السادس الهجري؛ بل قبل ذلك بكثير.

فالسبب الرئيس في تأسيس هذه المدينة كان ضيق المجال في وليلي بالوافدين على المولى إدريس من الأندلسيين الفارين من موقعة الربض سنة (189هـ/ 805م) إذ توافدوا بأعداد كبيرة زمن إدريس الثاني الذي أكرم وفادتهم، وكان من بينهم علماء، وبلغ عدد الفارين حسب المصادر التاريخية خمسمائة فارس[5]، وهو ما سيؤدي إلى تأسيس عدوتين في المدينة سميتا بأسماء الوفدين على الدولة

الإدريسية وهما عدوة القرويين(نسبة إلى القيروانيين) [6]وعدوة الأندلس (نسبة إلى الأندلسيين)، و"نزلها (فاس) كثير من العلماء والفقهاء والصلحاء والأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم، فهي في القديم والجديد دار علم وفقه وحديث وعربية، وفقهاؤها الفقهاء الذين يقتدي بهم جميع فقهاء المغرب"[7]، وهو الأمر الذي جعلها تحتل مكانة ثقافية وعلمية مرموقة في مختلف الفترات التاريخية فقد وصفها ابن أبي زرع مؤرخ الدولة المرينية قائلا: "لم تزل مدينة فاس من حين أسست دار فقه وعلم وصلاح ودين"[8]، وظلت حركة الترحال بين فاس وقرطبة متواصلة منذ بناء عدوة الأندلسيين بفاس، وتواصلت بعد ذلك حيث وفد على فاس عدد غير قليل من العلماء والأدباء وغيرهم."[9]

مما ساعد على الرقي الفكري والعلمي لمدينة فاس واستقطابها للرحلات العلمية؛ وجود مؤسسات فكرية أهمها جامعة القرويين التي ظلت القلب النابض والعقل المفكر لتلك الحاضرة[10]، فضمت بين ظهرانيها أبناء المدينة والوافدين عليها ممن يملكون الأهلية التربوية والرغبة العلمية في التدريس والتدارس.

ولعل اختلاف المكونات البشرية لمدينة فاس منذ تأسيسها أسهم في سهولة اندماج الوافدين عليها في مراحل لاحقة فيذكر ابن الأحمر: "**وأهلها على أربعة أجنس، الجنس الأول بنو هاشم ودخل إليها منهم الجم الغفير من الحجاز واليمن والعراق، والشام، ومصر وبرقة وافريقية والمغرب الأقصى. الجنس الثاني دخل إليها من سادات العرب وجراثيمهم، وعامتهم، ومواليهم الجم الغفير من جميع البلاد التي ذكرنا، والجنس الثالث دخل إليها من برابر المغرب وافريقية الجم الغفير، والجنس الرابع أهلها الذين دخل عليهم المسلمون**"[11]، فتنوع المكونات البشرية والسكانية لمدينة فاس منذ تأسيسها جعلها قادرة على دمج العناصر الوافدة عليها بسهولة فاستقطبت شرائح علمية متباينة.

المحور الثاني: الرحلات العلمية الوافدة على مدينة فاس.

لدراسة الرحلات العلمية الوافدة على مدينة فاس خلال فترة الدراسة ارتأينا تقسيمها إلى محورين؛ الأول هو الرحلات الداخلية أي أولئك العلماء والطلبة المنتمون لمجال بلاد المغرب والمتشوقون إلى طلب العلم والنهل من المعارف فكانت وجهتهم مدينة فاس وعلمائها ومساجدها خاصة جامع القرويين، ثم محور ثاني متعلق بالرحلات الخارجية للعلماء الوافدين على فاس سواء من المشرق أو من الأندلس، وقد واجهنا صعوبة في هذا التقسيم وذلك لعدة اعتبارات أهمها أن الحدود الجغرافية لم تكن موجودة؛ كما أن مجال المغرب اختلف حسب الدول المتعاقبة على حكم البلاد؛ والأمر نفسه بالنسبة للمجال الأندلسي الذي اعتبرناه في هذه الدراسة مجالا خارجيا، وذلك لاعتبارات عديدة أولها الانقسام الجغرافي عن طريق وجود حاجز طبيعي متمثل في البحر وكذا عدم تبعية الأندلس للمغرب في بعض الفترات التاريخية.

أولا: الرحلات الداخلية.

من العناصر الأساسية التي صادفنها خلال هذه الدراسة هي ندرة ذكر الوافدين على مدينة فاس من أبناء بلاد المغرب، مقارنة مع عدد الوافدين من المجالات التي اعتبرناها خارجية (المشرق والأندلس)؛ وقد فسرنا ذلك بكون رحلة أبناء بلاد المغرب للدراسة بمدينة فاس يعد أمرا بديهيا ومن المسلمات قصد استكمال الدراسة والحصول على الإجازات لذلك لم تولي المصادر التاريخية أهمية لهذه الحركة لاعتبارها عادية؛ باستثناء بعض الأفراد اللذين تميزوا سياسيا أو فكريا وعلا شأنهم فأثبتت المصادر مرورهم بفاس والاستفادة منها أو إفادة طلبتها ومن هؤلاء نجد:

- ✓ **بكر بن حماد الزناتي التاهرتي** (ت. 296هـ) [12]أصله من تاهرت [13] ولد حوالي سنة 200هـ، بعد أن درس ببلده رحل إلى القيروان ثم إلى بغداد استدعي من قبل الأمير أحمد بن القاسم بن إدريس لزيارة فاس فتصدر لإملاء العلم والأدب بجامع القرويين وذلك سنة 284هـ.
- ✓ **أبو عبد الله محمد بن عيسى بن حسين التميمي السبتي** (ت. 505هـ)[14] من أهل سبتة دخل الأندلس طالبا العلم، فسمع من أبي عبد الله المرابط بألميرية، وأبي مروان سراج، وغيرهما، وانتقل إلى سبتة أستاذا ثم **استقر بمدينة فاس** التزم القضاء بها سنة 503هـ
- ✓ **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن عبد الرحيم بن أحمد الكتامي المعروف بابن العجوز** (ت. 510هـ) [15]من جلة فقهاء سبتة ومقدما في المفتين بها ومدرسيها، وعليه كانت عمدة الفتيا، كان حافظا للمذهب فقيها، كان عالما نبيلا، بصيرا بالأحكام والوثائق، يميل إلى الحجة والنظر ولاه ابن تاشفين قضاء مدينة فاس حيث أفاد واستفاد بعد أن التجأ إليها فارا بنفسه على إثر مؤامرة دبرت له
- ✓ **أبو عبد الله محمد بن أغلب بن أبي الدوس** (ت. 511هـ) [16]من أهل مراكش كان عالما بالعربية والآداب رحل إلى فاس حيث تابع نشاطه العلمي هناك
- ✓ **أبو الفضل يوسف المعروف بابن النحوي** (ت. 513هـ)[17] من قلعة بني حماد وفد على فاس وصحب بها أبا الحسن اللخمي، ودرس بمسجد الأندلس بفاس. من أهل العلم والعمل، كان ممن انتصر لعدم إحراق كتاب "الإحياء" للإمام الغزالي لما كتب علي بن يوسف بن تاشفين بالتحريج على الناس في هذا الكتاب، وقد استفتي من قبل أبي الحسن بن حرزهم حول الأيمان التي أعطيت لعدم تملك الإحياء، عاش ردحا من الزمن في مدينة فاس حيث نزل بعقبة بن دبوس، وقد أخذ جمال المدينة بلبه فنظم الشعر المعروف: (يا فاس منك جميع الحسن مسترق) وهو صاحب قصيدة (المنفرجة الشهيرة) الشهيرة[18].
- ✓ **ابن العجوز[19] ت. 515هـ**: عبد الرحمان بن محمد الكتامي الفقيه ابن الفقيه ابن الفقيه، درس العلم بسبتة، وولي القضاء في عدة مدن، والتحق بفاس حيث أفاد واستفاد.
- ✓ **الصنهاجي [20]ت. 515هـ**: من البربر القاضي أبو سعيد خلوف بن خلف الله الصنهاجي، سمع بغرناطة، وولي قضاء مدينة غرناطة من قبل المرابطين سنة 510هـ ثم قضاء مدينة فاس، وبها توفي وهو متولي قضاءها
- ✓ **محمد بن عبد الله المهدي المعروف بابن تومرت** (ت. 524هـ): رحل سنة 501هـ إلى المشرق ومر ببغداد ولقي أبي حامد الغزالي بالشام[21]، وفي طريق عودته سمع في الإسكندرية لأبي بكر الطرطوشي فركب البحر إلى أن نز ببجاية[22]، وواصل طريقه إل أن دخل مدينة فاس وجلس بها يدرس علم الفروع على الطريقة الأشعرية[23]؛ ويذكر البيدق أن هذه الطريقة نالت إعجاب الطلبة "فجعلوا يهرعون إليه من كل مكان، ويتصايح بعضهم لبعض يقولون تعالوا بنا للفقيه السوسي"[24] فكان من بين هؤلاء "علي بن الملجوم، وأخوه أحمد، وابن أبي داوود، وأحمد بن دبوس[...]وابن برقوقة [...] وابن الغرديس، ويوسف ابن المغيلي"[25] وكل هؤلاء من علماء فاس المرموقين.
- ✓ **أبو عبد الله محمد بن داود بن عطية (ت. 525هـ)** [26]: من افريقية أخذ العلم بقرطبة عيين قاضيا على مدينة فاس وأشرف على شؤون جامع القرويين
- ✓ **أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الهواري (ت. 527هـ)** [27]: من القيروان دخل الأندلس وسمع بها ثم قدم على مدينة فاس واستقر بها أجاز لأبي القاسم بن الملجوم
- ✓ **أبو العباس أحمد بن محمد العامري[28] (ت. 539هـ)**: من الفقهاء المتضلعين في المذهب المالكي، وهو إلى ذلك بارع في الأدب وعلوم العربية وكاتب مجيد، توفي بفاس.

- ✓ **أبو عبد الله محمد بن عمر الأصم**[29] **(ت. 542هـ)**: العالم الصوفي من أهل سجلماسة أحضر إلى مدينة فاس في عهد تاشفين بن علي، وبعد امتحان تعرض له مع زميله الدقاق أخذ عنه بفاس جماعة.
- ✓ **عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت. 544هـ)**[30] من أهل سبتة زار فاس سنة 543هـ، وأقام ضيفا بها، وأجاز لأحد أفراد أسرة ابن الملجوم، ونزل على مقربة من القرويين بدار القاضي ابن الغرديس بزنقة حجامة، تحدثت الركبان بمجالسه وبطريقة تأليفه التي جمعت بين الأسلوب المغربي الذي يهدف إلى تمحيص الألفاظ، والأسلوب المشرقي الذي يقصد إلى المعنى، ويوجد إلى الآن مسجد بالصاغة يحمل اسمه تخليدا للأيام التي قضاها معلما بفاس[31].
- ✓ **المنصور بن محمد بن الحاج داود بن عمر الصنهاجي اللمتوني**[32] **(ت. 549هـ)**: سمع بقرطبة ومرسية وبلنسية وانتقل إلى مدينة فاس سنة 621هـ ليكمل معلوماته في الحديث، وقد جمع من الدواوين ما لم يتيسر لأحد.
- ✓ **حسن بن إبراهيم بن سهل المعروف بابن زكون (ت. 553هـ)** [33]: من تلمسان نزل مدينة فاس وكتب بها عن عيسى بن الملجوم دخل الأندلس فسمع بقرطبة ومرسية، ورحل إلى مدينة فاس حيث أكمل ثقافته، وشغل أيضا الكتابة لعيسى بن يوسف بن الملجوم الفاسي، وله تأليف في الرأي.
- ✓ **عبد المؤمن بن علي الكومي: (ت. 558هـ)** [34]: أمير المؤمنين الموحدي الذي أخذ بجامع القرويين وظل مدينا لفاس في معارفه، وقد ساعدته هذه الدراسة في تشكيل أفكاره وتطوير رؤيته التي قاد بها حركة الموحدين.
- ✓ **أبو عبد الله الدقاق (ت. 559هـ)**[35]:من سجلماسة تردد على مدينة فاس وكان من أصحاب عبد الله بن الأصم، وأبي عمر التلمساني
- ✓ **أبي عبد الله محمد بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي ويعرف بابن الرمامة (ت. 567هـ)**[36]:من قلعة بني حماد تولى قضاء فاس سنة 533هـ، وبعد إزالته عن القضاء جلس للتدريس بالمسجد الذي حمل اسمه.
- ✓ **ابن [ولد] القاضي عيسى بن عمران (ت. 578هـ)** [37]: قاضي الجماعة بمدينة مراكش، حيث أورد ابن أبي زرع رسالته التي أرسلها إلى ابنه الذي كان يدرس بمدينة فاس، حيث قال "[...]وإذا وجدتكم على ما أحب من أدوات الحفظ والأداء، والتزام أدب العقلاء، **جازيتكم بما يرضيكم**، وبما يزيد على أقصى تمنيكم" وهي دلاله صريحة على أن مراكش رغم كونها عاصمة سياسية؛ إلا أن المنبع العلمي والمصدر الفكري ظل في فاس.
- ✓ **أبو علي سالم بن سلامة السوسي (توفي 589هـ أو 590هـ)**[38]: من تارودانت درس بفاس الفقه على يد محمد بن عيسى الهيلاني السوسي، وسمع بها صحيح الإمام البخاري عن أبي عبد الله بن الرمامة، وكان جامعا لمسائل الفقه قديرا على أدائها جميعها باللسان البربري.
- ✓ **أبو زكريا يحيى بن أبي الحجاج**[39] **(ت. 590هـ)** .: أخذ علم العربية بمدينة فاس عن الخدب وغيره، وانتقل إلى مدينة مراكش.
- ✓ **أبو عبد الله محمد بن الحسن اليصلوتي (ت. 595هـ)** [40]:من سجلماسة انتقل إلى فاس لطلب العلم وبها توفي
- ✓ **أبو محمد يشكر بن موسى الجورائي ثم الغفجومي (ت. 598هـ)** [41]: نشأ بتاجنبت من ناحية تادلة ثم انتقل إلى فاس وتفقه بها على عدد من أشياخ القرويين الأفذاذ، حضر مجلس أبي الربيع الموحدي التلمساني، وصحب العلماء فيها، فأفادته رحلته في حضور الأجواء الثقافية، وكان إلى قوة باعه في العلم **يجد صعوبة في الاسترسال في الحديث بالفصحى**، لذلك كان يوكل على الخطبة بالقرويين بعض تلامذته، ومن اعتداده بنفسه أنه أعرض عن الدعاء للعاهل الموحدي خلافا لما جرت به العادة، كان إماما في الفقه، عليه المدار بفاس، وله حواش على المدونة، وله ذكر متواصل في تاريخ بناء القرويين.
- ✓ **عبد المنعم بن أحمد المراكشي (ت. بعد 598هـ)**[42]: روى بفاس عن بكر بن ميمون بن قاسم الزقاق.
- ✓ **الحسن بن حجاج بن يوسف الهواري (ت. 598هـ)**[43]: من بجاية دخل الأندلس مرارا، وانتقل إلى فاس حيث توفي.

- ✓ **يحيى بن محمد الانصاري المعروف بابن الصائغ (ت. 600هـ)**[44]: من سبتة دخل الأندلس فأخذ بها، وسمع بإشبيلية وقرطبة، وكان كثير الاختلاف إلى فاس، وكانت له فيها مجالس حافلة.
- ✓ **أبو حفص عمر بن القاضي عبد الله السلمي الأغماتي (ت. 603هـ)**[45]: القاضي انتقل إلى فاس فاخذ عن عدة أعلام، وأصبح من أهل المعرفة والتفنن كاتب وشاعر مجيد ولي قضاء إشبيلية وتلمسان وفاس اذ اقبل شمت منه رائحة الطيب على بعد.
- ✓ **أبو محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري الأوسي القصري (ت. 607هـ)**[46]: من القصر الكبير، له مشاركة في علوم شتى، وتصرف في الأدب واللغة والنحو وغير ذلك درس بمدينة فاس وروى عن ابن حنين أخذ عنه الموطأ.
- ✓ **أبو محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري الأوسي القصري**[47] **(ت. 608هـ)**: اخذ بفاس الموطأ عن الحاج أبي الحسن الكناني بن حنين له تآليف كلها جليل ومفيد، ألف كتابا في تفسير القرآن، وشعب الإيمان، وشرح أسماء الله الحسنى والأسئلة والأجوبة.
- ✓ **أيوب بن عبد الله الفهري المعروف بأبي الصبر**[48] **(ت. 609هـ)**: من سبتة أخذ بمدينة فاس عن عبد الله بن الرمامة وعن الحاج أبي الحسن بن حسن الموطأ
- ✓ **مروان بن عمار بن يحيى**[49] **(ت. 610هـ)**: من أهل بجاية، سمع ببلدة عبد الحق بن عبد الرحمان الإشبيلي، ودخل الأندلس فسمع عددا من المشايخ، ثم رجع إلى سبتة فسمع كذلك أبا محمد بن عبد الله، وأخذ بمدينة فاس عن أبي ذر الخشني كثيرا من كتب العربية الآداب واللغة، ولقي أبا عبد الله بن حميد فأخذ عنه بعض كتاب سبويه وأجاز له.
- ✓ **أبو زكريا يحيى بن داود التادلي (ت. 612هـ)**: من تادلا نزل بفاس وسمع عن ابن الرمامة وابن حنين.
- ✓ **أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي الكلبي ابن الجميل السبتي يعرف بابن دحية الأندلسي**[50] **(ت. 633هـ)**: أصله من سبتة نزل فاس ومراكش فأخذ عن علمائها، قضى ردحا من الزمان في فاس ضمن جولته في مدن المغرب.
- ✓ **أبو الحجاج يوسف بن محمد بن علي السقطي**[51](ت. **635**هـ) كان على معرفة تامة بالتوقيت والنجوم، ورد من قصر كتامة على مدينة فاس أيام إمامة الشلبي، كان خطيبا بجامع القصبة لكن كانت له رغبة جامحة في الخطابة بجامع القرويين فالتمس من قاضي المدينة أبي يعقوب يوسف بن عمران أن يفسح له المجال للظهور بمدينة فاس بالخطبة على منبر القرويين ولو لجمعة واحدة، فاقترح القاضي على الخطيب الشلبي أن ينزل من المنبر ليوم واحد ليشتهر أمر السقطي، فتمارض الشلبي وخطب في موضعه، مما يوضح قيمة الوقوف على منبر القرويين.
- ✓ **إبراهيم بن جابر بن عمر المخزومي (ت. 641هـ)**[52] أصله من مراكش نشأ بفاس أخذ بها عن أبي الحسن بن حرزهم وغيره
- ✓ **عبد الله بن محمد الصنهاجي الناميسي**[53]**(ت. 642هـ)**: من طنجة سمع بفاس عن أبي عبد الله الفندلاوي، وعبد العال بن زيدان.
- ✓ **عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي**[54]: ولد بمراكش سنة 581هـ، توفي سنة 647هـ، ورد على فاس لطلب العلم حيث كان بها سنة 595هـ، وفيها التقى بأبي بكر بن زهر، ثم رحل إلى مصر والحجاز وبغداد والشام، يقول عبد الواحد المراكشي: "**فصلت عنها (مراكش) وأنا ابن تسعة أعوام إلى مدينة فاس؛ فلم أزل بها إلى أن قرأت القرآن وجودته ورويته عن جماعة كانوا ناك مبرزين في علم القرآن والنحو، ثم عدت إلى مراكش؛ فلم أزل مترددا بين هاتين المدينتين**"، فألف سنة 621هـ كتابه المعروف " المعجب في تلخيص أخبار المغرب" جمع فيه بين تاريخ الأندلس والمغرب السياسي والأدبي، اعتبرت مدينة فاس مجالا لاستقطاب العلماء والفقهاء والصلحاء، وكذا طلبة العلم، وهو ما ميزها عن باقي مدن المغرب، ولعل ذلك ما دفع بعبد الواحد المراكشي إلى التأكيد على ما سمعه من شيوخ المغرب فلقبها بـ: "بغداد المغرب"، ولعل الأمر نفسه كان دافعا لقيام العديد من أبناء مراكش– عاصمة الدولتين المرابطية والموحدية– بالقدوم إلى فاس من أجل طلب العلم واستكمال الدراسة.

- ✓ **عبد الله بن محمد بن عبد الله الصنهاجي**[55] **(ت647هـ)**: من أهل طنجة، انتقل إلى مدينة فاس للتعلم، فسمع هناك عن أب عبد الله الفندلاوي وأبي محمد بن زيدان، وكان ممن أجازه أبو القاسم بن الملجوم، وأبو ذر الخشني، وابن جبير.
- ✓ **أبو الحسن علي بن محمد الغافقي الشاري**[56] **(ت. 649هـ)**: من أهل سبتة، رحل إلى مدينة فاس للاستزادة من العلم، فلازم بها محمد الفندلاوي، وتفقه عليه في علم الكلام وأصول الفقه، كما أخذ عن أبي القاسم عبد الرحيم بن الملجوم وابن عمه عبد الرحمان وأبي الحسن علي بن عتيق، وأخذ عن النحوي أبي الحسن بن خروف، ثم دخل الأندلس، وبنى مدرسة ببلدة سبتة.
- ✓ **أبو عبد الله محمد بن عبدون بن قاسم الخزرجي المكناسي**[57]**(ت. 659هـ)**: الأديب الشاعر، وهو غير عبد المجيد بن عبدون الأندلسي، قضى وقتا مهما في فاس، وكانت له بها مجالس خبر فيها المدينة في موضوعها وشكلها أو طيها وزيها على حد تعبيره في شعره المشهور.

لم ينبع إذا الوصف الذي قدمه المراكشي[58] لمدينة فاس من فراغ فهي فعلا: "حاضرة المغرب [..] وموضع العلم منه، اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة"، فالمدينة عرفت هجرات من مختلف المدن المغربية كان أغلبها بهدف طلب العلم، فمن خلال النماذج التي سبق إحصاءها في الجدول نلاحظ أن فاس استطاعت فرض هيمنتها على المجالات المحيطة بها، فحتى مراكش عاصمة المرابطين والموحدين وفد طلبتها على فاس للاستفادة من علومها من أمثال قاضي مراكش عيسى بن عمران الذي أرسل ولده الذي راهق الحلم للدراسة بمدينة فاس[59]؛ وكذا المؤرخ عبد الواحد المراكشي ابن مدينة مراكش الذي انتقل إلى فاس وهو ابن تسع سنوات لدراسة بها، وظل يتردد على المدينة أربع عشرة سنة للغرض نفسه[60].

كما استفادت فاس وطلبتها وعلماؤها من هذه الوفود، فأثروا فيها وتركوا بصمتهم الثقافية بها ولعل أبرزهم ابن الرمامة الذي تتلمذ على يده طلبة فاس والوافدين عليها، فكان فضله عليها كبير مما جعل اسمه يخلد بها من خلال المسجد الذي ألقى به دروسه وحمل اسمه[61]؛ وكذلك أبو الفضل يوسف ابن النحوي الذي جلس للتدريس بمسجد الأندلس وكان ممن انتصر لعدم إحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، ولمكانته العلمية استفتاه أبو الحسن بن حرزهم حول الأيمان المغلظة التي حلف بها الناس على عدم امتلاكهم للإحياء فأفتاه أنها لا تلزم[62]، فكانت بصمة هؤلاء العلماء واضحة في الفكر والمجال الفاسيين.

وتعددت الوجهات التي ارتحل منها علماء بلاد المغرب نحو فاس، فاحتلت مدينة سبتة الصدارة، ولعل ذلك يعود إلى كونها من المراكز الثقافية الهامة في منطقة بلاد المغرب خلال فترة الدراسة، مما جعل علماءها وطلبتها يبحثون عن المعارف خارج مدينتهم فكانت أقرب وجهة علمية هي مدينة فاس، فالعامل الجغرافي كان يشجع بشكل كبير على الارتحال.

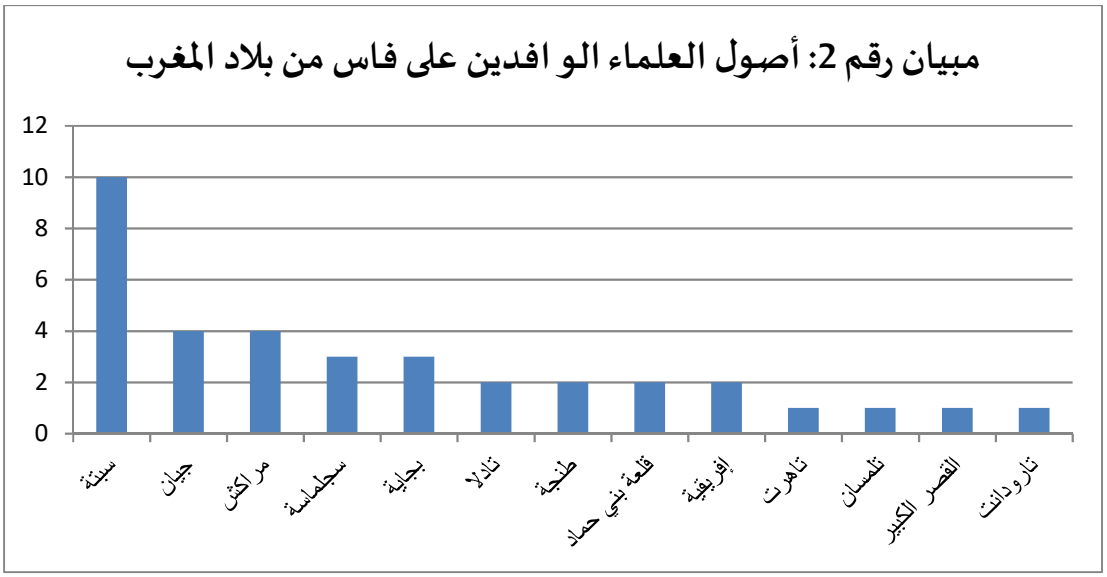

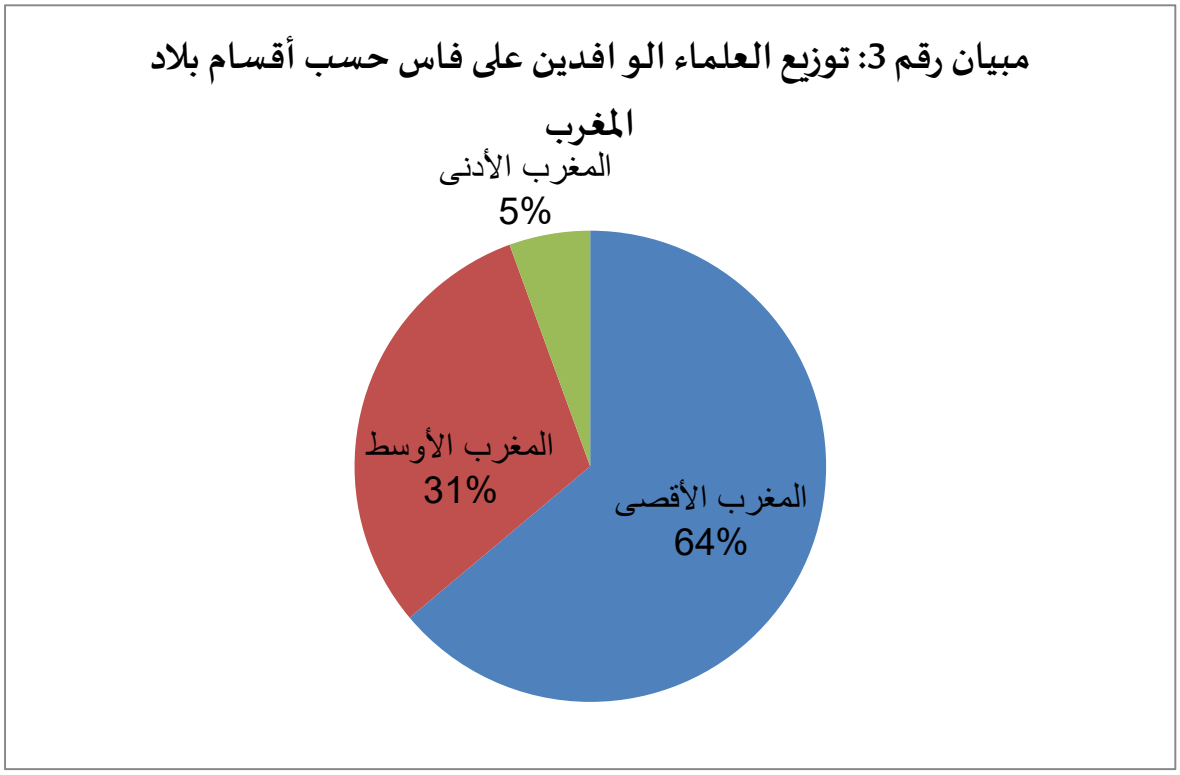

وكما كان لفاس وافدون من بلاد المغرب بوجهاته واتجاهاته العديدة؛ كان لها كذلك وافدون من خارجه تمثلت في الأندلس وبلاد المشرق الإسلامي.

ثانيا: الرحلات الخارجية.

اتجهت نحو مدينة فاس رحلات من مناطق مختلفة، كان لها أثر في الحياة الثقافية للمدينة، انطلقت مع تأسيس المدينة إذ وفد عليها عدد هام من ساكنة قرطبة في حوالي سنة 202هـ؛ بعدما أوقعه بهم الحكم بن هشام، ونزل أغلبهم بعدوة الأندلس[63]؛ فهذه الوفود التي سبقت تأسيس المدينة والتي قدرت بنحو خمسمائة فارس ستستقر بعدوة الأندلس؛ ورغم أن هذه العناصر الوافدة لم تكن لأهداف علمية إلا أنها أثرت في المدينة ثقافيا؛ وشجعت على خلق تواصل مع المناطق المهاجر منها بعد تأسيس المدينة واستقرارها سياسيا.

ولمحاولة فهم هذه العلاقات العلمية، ومظاهر التأثير والتأثر بين مختلف عناصرها؛ حاولت القيام بجرد للعلماء الوافدين على مدينة فاس من خلال كتب التراجم، حيث يقدم هذا النوع من المصادر مادة غنية تساعد على تتبع هذه الرحلات ودراستها، وفيما يلي جدول يضم أسماء هؤلاء العلماء.

العلماء الوافدون على فاس من المشرق والأندلس

الاسم	الأصل	صفاته العلمية وسبب الوفود	المصدر
جبر الله بن قاسم الأندلسي (ت. 350هـ)	الأندلس	نزيل عدوة الأندلس من مدينة فاس، وهو ممن أدخل علم مالك إليها من مشاهير فقهائها ومتقدميهم، استقر بمدينة فاس ودرس بها، سمع منه عيسا بن سعادة الفاسي.	ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج1، صص 174- 175؛ الجزنائي، **جنى زهرة الآس**، م.س، ص95.
البابا سلفستر جيربرت Gerbert (ت. 359هـ)	أوربا	درس بالقرويين وأدخل الأرقام العربية إلى أوربا توفي سنة 359هـ.	عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، ج1، م.س، ص 115؛ 154-155.
أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمان الأنصاري الشارقي توفي قريبا من سنة (500هـ)	بلدة شارقة نواحي بلنسية	سمع بالشرق، ودخل بغداد فأخذ عن أبي إسحاق الشيرازي، وسمع محمد بن صدقة من العلماء الأكراد، دخل فارس والأهواز ومصر والأندلس، وسكن مدينة فاس، كان مشاركا في معرفة الأصول والفقه على مذهب أهل العراق، سمع منه طائفة من الناس بمدينة فاس.	ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج1، ص137.
أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الأزدي الطليطلي المعروف بالربوطي (ت. 503هـ)	طليطلة	سمع من عدة مشايخ، منهم عبد الرحمان بن سلمة وقاسم وأبي الوليد الباجي والتحق بمدينة سبتة ثم بمدينة فاس التي استقر بها وتولى الخطابة.	نفسه، ص 252؛ عياض، **الغنية**، ص 47.
يوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن عديس أبو الحجاج طليطلي (ت. 505هـ)	طليطلة	من أهل المعرفة والحفظ والتفنن، وله كلام على معان من الحديث، توفي بفاس.	عياض، **الغنية**، ص167.
إبراهيم بن أبي الفضل ابن صواف الحجري الشاطبي (ت. 506هـ)	شاطبة	من أهل المعرفة بالعربية واللغة والآداب، وتجول في البلاد معلما بها استقر في آخر عمره بمدينة فاس.	ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج1،ص 88.

أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفضل المجري (ت. 506هـ)	شاطبة	من أهل المعرفة باللغة والآداب؛ تعلم الطب انتقل إلى فاس حيث قعد للعلاج إلى أن توفي بها.	عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص159.
محمد بن عيسى الأندلسي المعروف بابن اللبانة (ت. 507هـ)	دانية	أقام مدة طويلة في فاس، وصاحب علماءها وأدباءها وهو من الشعراء الذين تغنوا بجمال مدينة فاس	نفسه، ص160.
أبو بكر محمد بن أغلب بن أبي الدوس (ت. 511هـ)	مرسية	كان عالما بالعربية والأدب استقر بفاس وانتفع به طلبة العلم، أدركه أجله بمراكش.	ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج1، ص654.
أبو الخير سالم بن إبراهيم بن عبد الرحمان الصدفي (ت. 514هـ)	سرقسطة	عني بالحديث ومسائل الرأي وبالفقه والوثائق استوطن مدينة فاس حيث تابع نشاطه العلمي	عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص160.
خلف بن محمد بن غفول الشاطبي (ت. 520هـ)	شاطبة	سكن ودرس بفاس ومن تلامذته أبو الحسن بن حنين.	ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج1، ص 192؛ الكتاني، **سلوة الأنفاس**، م.س، ج3، 161.
أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد (ت. 520هـ)	قرطبة	حل بفاس وكانت له صلات بأساتذتها وطلبتها وأخذ عنه بها جماعة	ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج1، ص 255. عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص160-161.
أبو القاسم خلف بن محمد الشاطبي (ت. 521هـ)	شاطبة	سمع من عدد من الشيوخ بالأندلس وسمع منه عدد من الطلبة بفاس التي سكنها.	عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص 161.
أبو عبد الله محمد بن داود بن عطية ابن سعيد العكي القلعي (ت. 525هـ)	الأندلس	كان من أهل العلم بالفقه والأصول، ولي قضاء تلمسان ثم إشبيلية ثم نقل لقضاء فاس وتوفي بها، وهو من شيوخ القاضي عياض درس عليه أصول الفقه.	عياض، **الغنية**، م.س، صص 37-38.
أبو عبد الله محمد بن عيسى بن القاسم الصدفي (ت. 529هـ)	الأندلس	كان فقيها عارفا بالوثائق أديبا شاعرا، رحل إلى فاس وكان له عدد من التلامذة بها، قبل أن يستكتبه ابن الملجوم في قضائه على مكناسة.	عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص 162.

عبد الله بن يحيى الثقفي (ت. 529هـ)	سرقس طة	انتقل إلى مدينة فاس حيث أقام بها معلما.	نفسه.
أبو القاسم خلف بن يوسف بن فرتون (ت. 532هـ)	شنترين	من كبار علماء شنترين انتقل إلى مدينة فاس وأقام بها معلما للحديث والسير وعلوم القرآن بمسجد حنين. وعاد إلى الأندلس وأدركه أجله بقرطبة.	نفسه.
محمد بن يحيى بن الصائغ ابن باجة (ت. 533هـ)	سرقس طة	الفيلسوف الأديب النحوي كان عالما بالأدب والنحو، ونظر في كلام الحكماء، فكان يشبه بابن سيناء، أصلح حال العلوم الرياضية من طب وهندسة وفلسفة استقر في آخر عمره بفاس وتوفي بها.	ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج1، صص 256- 257؛ الكتاني، **السلوة**، م.س، ج3، صص 333- 334؛ ابن عيشون، **الروض العطر الأنفاس**، ج1، صص256-257.
أبو جعفر محمد بن حكم محمد بن أحمد بن باق الجذامي (ت. 538هـ)	سرقس طة	كان ذا حظ من علم الكلام، ولي الأحكام بمدينة فاس، وأفتى بها، وأقرأ كتاب سيبويه استقر بمدينة فاس	ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، م.س، ج4، صص 193-194؛ ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج1، ص255- 256.
أبو مروان عبد الملك بن أبي الخصال مسعود بن فرج بن خلصة الغافقي (توفي سنة 539هـ أو 540هـ).	شقورة	كان من أهل المعارف الجمة والإتقان للحديث والمعرفة برجاله والتقييد لغريبه وإتقان ضبطه والمعرفة بالعربية واللغة والأدب والنسب والتاريخ مقدما في ذلك كله، وأما الكتابة والنظم فهو إمامها، أديب بليغ كاتب، له رسائل بديعة سكن مدينة فاس عمل في خدمة المرابطين بفاس	ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج 1،ص257-258.
ورقاء بنت يانتان الطليطلية الفاسية (توفيت بعد سنة 540هـ)	طليطلة	أديبة شاعرة صالحة حافظة للقرآن بارعة الخط سكنت مدينة فاس	ابن القاضي، **الجذوة**، ج2، ص533.
محمد بن أحمد بن محمد بن سعيد بن مطرف التجيبي (ت. 541هـ)	قلعة أيوب	نزل فاس وروى عن جماعة من علمائها، وروت عنه جماعة، كان من أهل العلم، وله دفاتر نفيسة.	عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص164.

عبد الله بن يوسف بن غالب الأنصاري البلنسي	بلنسية	رحل إلى فاس لطلب العلم، فكان ممن روى عنهم بفاس عباد بن سرحان.	نفسه.
محمد بن أحمد بن محمد بن سعيد بن مطرف التجيبي (ت. 546هـ)	قلعة أيوب	كان من أهل العلم، له دفاتر ودواوين نفيسة نزل بفاس، امتلاك خزانة كتب مهمة بفاس.	ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج1، ص262.
عبد الله بن يوسف بن غالب الأنصاري البلنسي (ت. 543هـ)	بلنسية	رحل إلى فاس لطلب العلم روى بها عن عباد بن سرحان	نفسه، ج2، ص429
أبو بكر بن عبد الله بن العربي المعافري ولد سنة 468هـ وتوفي سنة 543هـ	إشبيلية	صحب أباه وهو شاب في رحلة إلى بغداد في سفارة ليوسف بن تاشفين لدى المستظهر بالله، وقد استفاد من رحلته هذه حيث اجتمع بعدد هام من العلماء دخل إلى فاس وأخذ بها عنه جماعة	التميمي، **المستفاد**، م.س، ج1، ص30
أبو يونس مغيث بن يونس بن محمد بن مغيث الأنصاري ابن الصفار ت. 552هـ	قرطبة	ممن كاتبهم أبو علي الصدفي، سمع من أبيه وغيره، وله رواية عن عدد من الأعلام حدث عنه ابنه أبو محمد عبد الله وأبو القاسم بن الملجوم الذي لقيه بفاس وأجاز له، وكان فقيها مشاورا	عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص166.
أبو بكر محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي المعروف بالفلنقي (ت. 553هـ)	إشبيلية	كان إماما في صناعة الإقراء عالي الرواية مشاركا في علم العربية والأدب، ويجمع إلى ذلك براعة الخط وجودة الضبط قصد مدينة فاس واستوطنها ودرس بها **بمسجد الحوراء**	نفسه.
أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن محمد بن مسعود القيسي البسطي (ت. 554هـ)	مدينة بسطة	انتقل إلى العدوة فنزل مدينة فاس، وأقرأ بها علوم القرآن وكان ممن اخذ عنه المقرئ أبو محمد قاسم بن محمد بن محمد عبد الله بن طويل إمام جامع القرويين، له كتاب في الاستدلالات على رفع الإشارات في جمع القرآءات وتبيين المبهمات.	نفسه، ص167.
أبو بكر يحي بن عبد الجليل اللخمي اليكي (ت. 555هـ)	الأندلس	شاعر مجيد، حدث عنه بفاس أبو علي حسن بن مسعود المليلي استوطن مدينة فاس	نفسه.

أبو العباس أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله التدميري (ت. 555هـ)	نشأ بألميرية	نشر علم النحو في فاس وتوفي بها	ابن القاضي، **الجذوة**، ج1، ص138.
قاسم بن محمد بن مبارك الأموي ت. 560هـ	اشبيلية	نزل مدينة فاس، تصدر للإقراء، وأخذ عنه جماعة من اعلام فاس، وكان منهم ابن خروف وأبو الصبر أيوب بن عبد الله.	عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص168.
أبو الحجاج يوسف بن فتوح بن محمد بن عبد الله القرشي العشاب (ت. 562هـ)	ألميرية	دخل مدينة فاس بعد انصرافه من الحج حدث بها، وكان يلقي العلم والصيدلة، ممن أخذ عنه من أهل فاس الخطيب أبو محمد قاسم، وأبو الحجاج يوسف أحمد الورداغي وغيرهما.	ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج2، صص553- 554.
علي بن أحمد ابن حنين الكناني (ت. 569هـ)	قرطبة	رحل حاجا ولقي أبا حامد الغزالي وسمع منه أكثر الموطأ ولم يستجزه استوطن مدينة فاس وأقرأ القرآن بمسجده بفاس (مسجد سيدي حنين).	ابن عيشون، **الروض العطر الأنفاس**، م.س، صص 228- 229
إبراهيم بن قرقول القائدي الوهراني الحمزي (ت. 569هـ)	ولد بألميرية	له معرفة بالأدب والحديث ورجاله وكان رحالا في طلب العلم حريصا على لقاء الشيوخ توفي بمدينة فاس ودفن قريبا من برج الكوكب الذي يقال له اليوم سيدي علي المزالي.	ابن القاضي، **الجذوة**، ج1، ص88- 89.
محمد بن عبد الله بن محمد بن خليل القيسي (ت. 570هـ)	لبلة	نزل مدينة فاس قبل أن ينتقل إلى مدينة مراكش فانتفع به عدد من الطلبة بها.	عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، ج1، م.س، ص170.
أبو عبد الله محمد بن غالب الرصافي (ت. 572هـ)	الرصافة	دخل فاس فكانت له مع أدبائها وشعرائها وطلبتها مجالس أنس.	نفسه، ص171.
محمد بن فتح الأنصاري الإشبيلي (ت. 574هـ)	إشبيلية	استقر بمدينة فاس، وتصدر للتدريس بها، وأخذ عنه جماعة، منهم أبو القاسم بن الملجوم وعبد الجليل بن موسى.	نفسه.
أبو عبد الله محمد بن غالب الرصافي (ت. 576هـ)	مدينة الرصافة	الشاعر المبدع، دخل مدينة فاس، فكانت له مع أدبائها وشعرائها وطلبتها مجالس أنس، والرصافة هي بالذات مدينة بلنسية بالأندلس.	نفسه.

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عفير الأموي (ت. 579هـ)	اشبيلية	انتقل إلى مدينة فاس لأخذ العلم، فدرس على أبي الحسن بن حنين سنة 568هـ (كتاب الشهاب)، ثم رجع إلى الأندلس فتولى الخطابة ردحا من الزمان في مسجدها القديم.	نفسه، ص172.
محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري المعروف بالخدب (ت. 580هـ)	إشبيلية	دخل مدينة فاس فرغب إليه أهلها في الإقراء فقعد لذلك وأقام مدة، وأخذ عنه جماعة منهم أبو ذر الخشني وأبو الحسن بن خروف.	ابن القاضي، **الجذوة**، ج1، صص 271- 272.
أبو محمد عبد الحق بن خليل بن إسماعيل بن خلف السكوني (ت. 580هـ)	لبلة	شد الرحال إلى مدينة فاس لأخذ علم الكلام وأصول الفقه على أبي عمرو عثمان السلالجي وأحكم عنه العلميين، وأخذ النحو عن أبي بكر بن طاهر الخدب نقل آراء السلالجي الكلامية إلى الأندلس، وكان أهل العلم بفاس يقولون إنه لم يتخرج على أبي عمرو السلالجي مثله ومثل أبي عبد الله بن الكتاني.	نفسه، ج2، ص388-389.
إبراهيم الأنصاري (ت. 582هـ)	الأندلس	نزل بمدينة فاس وقام بإقراء النحو وبيع الأعشاب، بلغ مركزا هاما خوله أن يتوق ابن القطان إلى إجازته.	عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص173.
أحمد بن عبد الصمد ابن أبي عبيدة الأنصاري الخزرجي القرطبي ثم الفاسي (ت. 582هـ)	قرطبة	استوطن مدينة فاس والتزم إسماع الناس الحديث والتكلم على معانيه بجامع القرويين كما درس علوم اللغة.	فاتن كوكة، **التصنيف اللغوي**، م.س، ص 46.
أبو المكارم هبة الله المصري ابن الحسين (ت. 586هـ)	مصر	من أهل العلم، حافظا للحديث، عارفا بالأصول ولي قضاء إشبيلية ثم قضاء فاس ثم قضاء تونس.	ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج2، ص532.
عيسى بن محمد الوراق الغافقي القرموني (ت. 586هـ)	قرمونة	فقيها نحويا بصيرا بالوثائق أديبا كاتبا انتقل إلى مدينة فاس فزاول فيها التعليم.	نفسه، ص 504.
زكرياء بن عمر بن أحمد بن عبد الرحمان الأنصاري الخزرجي (ت. 590هـ)	قرطبة	خرج من وطنه في الفتنة فتجول ثم استقر بمدينة فاس، وكان بها يعقد الشروط.	نفسه، ج 1،صص 199-200.

عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله الحجري الأليري (ت. 591هـ)	أليرية	انتقل إلى مدينة فاس فأقام بها ردحا من الزمان يقرئ ويسمع.	نفسه، ج2، صص 327-328.
خيرونة الفاسية (ت. 594هـ)	الأندلس	من النساء الأندلسيات اللواتي دخلن المغرب، استقرت بمدينة فاس، ودرست على يد أبي عمروا عثمان السلالجي.	البختي، **عثمان السلالجي**، م.س، ص170.
شعيب بن حسين الأنصاري أبو مدين الغوث (ت. 594هـ)	اشبيلية	فقيه الأولياء وعمدة الأتقياء في التصوف، استقر بمدينة فاس حومة الرميلة	الكتاني، **السلوة**، م.س، ج1، صص416- 417؛ ابن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس، م.س، ص65
أبو عبد الله محمد بن عمر (ت. 596هـ)	مالقة	انتقل إلى فاس، وتصدر للكتابة والإقراء فيها	ابن القاضي، **الجذوة**، ج1، صص 199- 200.
موسى بن ميمون القرطبي من أهل القرن السادس الهجري	قرطبة	موسى بن ميمون القرطبي الطبيب الفيلسوف اللاهوتي، خرج مع أسرته من قرطبة إلى فاس فكان له اتصال بعلمائها.	التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص170.
أبو الحسن علي بن عتيق بن عيسى الأنصاري الخزرجي ت. 600هـ	الأندلس	روى بالأندلس عن جماعة وأجازه أعلام الأندلس في وقته ورحل إلى المشرق فلقي جماعة من العلماء وكانت له مشاركة في علم الكلام وفي أصول الفقه وفي الطب حدثت عنه جماعة مهمة في فاس وكان منهم أبو الحسن الغافقي.	نفسه، ص179.
علي بن خيار البلنسي الفاسي (كان حيا عام 601هـ)	بلنسية	بلنسي الأصل واستقر بمدينة فاس كان حافظا فقيها رافضا للتقليد، ميالا إلى النظر والاجتهاد، متفننا، حسن المشاركة في العربية وعلم الكلام وأصول الفقه والتصوف	البختي، **عثمان السلالجي**، م.س، ص173.
أبو الحسن علي بن محمد بن فرحون القيسي الفاسي ت.601هـ	قرطبة	عالم كبير بالحساب صاحب كتاب لب اللباب في مسائل الحساب، وكان كتابه ضمن المؤلفات التي تدرس بالقرويين ورد على فاس فأقام بها يعلم الرياضيات.	ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج2، ص483.

عمر بن عبد الله ابن عمر السلمي الأغماتي (ت. 603هـ)	جزيرة شقر	من أهل المعرفة والتفنن، أديبا كاتبا شاعرا مجيدا، مع جودة الخط وبراعة الأدوات سكن مدينة فاس، ولي قضاء مدينة تلمسان ثم قضاء فاس، ثم قضاء إشبيلية.	نفسه، ص 496.
أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني (ت. 604هـ)	جيان	استوطن مدينة فاس، وأقام بها يقرئ العربية.	ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، م.س، ص49.
أحمد بن عمر الأنصاري الأندلسي الأسكندراني (ت. 605هـ)	الأندلس	أخذ عن ابن الملجوم بمدينة فاس.	عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، ج1، م.س، ص180.
أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأنصاري (ت. 606هـ)	إشبيلية	رحل إلى فاس لطلب العلم فأخذ عن ابن زرقون.	نفسه.
علي بن محمد بن علي الحضرمي ابن خروف (ت. 609هـ)	إشبيلية	روى عن جماعة من العلماء. أقرأ بقرطبة ورندة وإشبيلية وسبتة، وبمدينة فاس أخذ عنه كتاب سيبويه جلة من العلماء وأقرأوه بعده، ممن أخذ عنه بفاس أبو الحسن الشاري، له مؤلفات منها شرحه لكتاب سيبويه.	نفسه، ص181.
إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي المالقي المعروف بابن المرأة (ت. 611هـ)	مالقة	كان فقيها حافظا للرأي مشاورا يشارك في الأدب وغلب عليه علم الكلام فرأس فيه واشتهر به رحل من الأندلس إلى فاس لطلب العلم.	نفسه، ص 90.
أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير ولد سنة 614هـ	بلنسية	عاش ردحا من الزمان بمدينة فاس ودرس بها.	عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص182. 183.
أبو القاسم أحمد بن عمر الأنصاري الخزرجي (ت. 616هـ)	قرطبة	سكن مدينة فاس، وروى عنه جماعة من العلماء.	ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج1، صص 138- 139، 144 -145
أبو الحجاج يوسف بن فتوح ت. 621هـ	الأندلس	نزل مدينة فاس وكان له حظ من علم التفسير والفقه، وله معرفة بعلم النبات وأعيان العشب.	عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص183

محمد بن أحمد بن حمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري توفي سنة 621هـ	ألميرية	رحل إلى فاس لطلب العلم فأخذ عن أبي الحسن بن حنين، وسمع منه الموطأ، وأجاز له.	نفسه.
محمد بن موسى القطني توفي سنة 621هـ	شاطبة	رحل إلى مدينة **فاس** ولقي بها أبا القاسم عبد الرحيم بن عيسى بن الملجوم، فسمع منه وأخذ عن جماعة بفاس.	نفسه.
عبد الله بن باديس اليحصبي الشقري (ت. 622هـ)	جزيرة شقر	رحل إلى مدينة فاس فأخذ بها عن أبي الحجاج بن نموي وطبقته من أهل العلم بالكلام وأصول الفقه.	ابن القاضي، **الجذوة**، ج 2،ص 429.
عبد الصمد بن عبد الرحمان البلوي (ت. 623هـ)	الأندلس	رحل إلى فاس وأخذ بها عن عدد من العلماء من بينهم أبو عبد الله بن الرمامة.	عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص184.
عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز بن زيدان السماتي (ت. 624هـ)	قرطبة	استوطن مدينة فاس روى بها عن أبي ذر الخشني وأبي إسحاق بن قرقول، وأخذ عن أبي الحسن بن حنين، سمع منه الموطأ.	نفسه.
أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري الأندلسي الاسكندراني (ت. 626هـ)	الأندلس	من أعيان المذهب المالكي لقي بفاس أبا القاسم عبد الرحمن بن عيسى بن الملجوم، ثم انتقل إلى الاسكندرية، فكان علما من أعلامها، درس بها، له كتاب على صحيح مسلم أحسن فيه وأجاد.	نفسه.
محمد بن عبد الله أبو بكر القرطبي الأنصاري (ت. 630هـ)	إشبيلية	رحل إلى مدينة فاس في طلب العلم فأخذ عن جماعة منهم ابن زرقون.	نفسه، ص185.
أبو الخطاب ابن دحية الأندلسي (ت. 633هـ)	الأندلس	قضى ردحا من الزمان في فاس ضمن جولته في مدن المغرب، زار أصبهان وبغداد ونيسابور وشيراز ودمشق والقدس، ثم استقر بالقاهرة.	نفسه.
أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي (ت. 636هـ)	مرسية	دخل مدينة فاس وأخذ عن أبي عبد الله بن قاسم بن عبد الرحمان بن عبد الكريم التميمي الفاسي، وسمع عليه كتاب المستفاد بمسجد عين الخيل (المسجد الأزهر)، وأخذ كذلك عن علي بن حرزهم، وجماعة كثيرة.	ابن القاضي، **الجذوة**، ج 1،ص 281-282.

محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الطراز الأنصاري الغرناطي (ت. 645هـ)	غرناطة	رحل إلى فاس وانتفع بعلمائها من بينهم أبي بكر بن زيدان، وأبي البقاء بن يعيش وغيرهم، وحضر مجلس أبي العباس البقال والمصالي وتفقه عندهما في علمي الكلام وأصول الفقه.	ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج1، ص 316.
علي بن أحمد القشيري توفي سنة 648هـ	الأندلس	رحل إلى فاس لاستكمال معلوماته أخذ بها عن أبي البقاء يعيش بن القديم، وأبي محمد بن زيدان وغيرهما.	نفسه، ص187.
القاضي أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن قطرال الأنصاري (ت. 651هـ)	الأندلس	روى عن جماعة مهمة من العلماء، وولي القضاء بقرطبة وبلنسية وشاطبة وسبتة، ثم مدينة فاس، وأخذ عنه عالم كثير من الطلبة.	نفسه، ص187. 188.
أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الكفيف المعروف الطليطلي بالربوطي (ت. 654هـ)	طليطلة	سمع ببلده، ثم انتقل إلى مدينة فاس فتولى التعليم بها، وكان يخطب ويصلي الجمعة بالناس.	نفسه، ص188.
أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مسدي الغرناطي (ت. 663هـ)	غرناطة	انتقل إلى مدينة فاس وأخذ العلم بها عن جماعة من العلماء منهم أبو البقاء يعيش بن القديم، وأبو محمد بن زيد.	نفسه، ص189.

من خلال هذا السرد للأسماء العلماء الذين تمكنا من التوصل إليهم، يتضح هيمنة الهجرات الأندلسية، فلم يرد سوى اسمين مشرقيين؛ الأول هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمان الشارقي (ت. 500هـ)' الذي سكن مدينة فاس وأسمع الفاسيين الأصول والفقه؛ والثاني أبو المكارم هبة الله المصري ابن الحسين (ت. 586هـ)[64]، وهو من مصر وتولى القضاء بفاس وكان عارفا بالأصول.

ومن الملاحظ كذلك أن عدد الفاسيين الذين رحلوا إلى الأندلس أقل بكثير من عدد الأندلسيين الوافدين على مدينة فاس؛ ولعل هذا الأمر هو الذي دفع إحدى الدراسات التي اهتمت بالعلاقات العلمية بين فاس والأندلس[65]إلى التأكيد على أن هذه الأخيرة كانت أكثر عطاء وأكبر عددا من حيث العلماء والطلبة المرتحلين إلى فاس؛ وهو الأمر الذي لا نتفق معه؛ فحال القيام بنظرة إحصائية بسيطة عن عدد العلماء الوافدين على فاس من المجال الأندلسي نجد فعلا أنهم أكثر بكثير من الفاسيين المتوجهين نحو الأندلس؛ لكن هذه المقارنة لا تستقيم لاعتبارات عديدة:

أولا: المجال الأندلسي شاسع ومدنه عديدة فمن خلال هذه الدراسة فقط ورد لدينا ذكر لأكثر من عشرين مدينة أندلسية لها علائق علمية مع مدينة فاس.

ثانيا: عدد سكان هذه المدن يفوق بكثير عدد سكان مدينة فاس؛ وبالتالي فعدد العلماء والمتشوقين إلى العلم كذلك سيختلف بكثير، فإذا ما أخذنا مدينة قرطبة أو مدينة إشبيلية فهي تضاهي ساكنة مدينة فاس إن لم تكن تفوقها.

ثالثا: فاس مجال منوغرافي محدد جغرافيا وديمغرافيا؛ وأمام علمائه وطلبته مراكز فكرية مفتوحة كسبتة وتلمسان وبجاية وإفريقية؛ للوصول إلى مراكز أبعد في مصر ثم الحرمين الشريفيين وأحيانا المرور بالشام والعراق وبلاد فارس، فهذا الاتجاه يحقق للمرتحل هدفين؛ الأول ديني يتعلق بأداء فريضة الحج؛ والثاني علمي حيث يمكنهم من أخذ معارفهم خاصة الفقهية من منبعها والسماع من الشيوخ؛ مع إمكانية جلب الكتب والمصنفات والإفادة بها، وهو ما يعني أن المتشوق للعلم سيختار الوجهة المشرقية التي تغنيه عن الأندلس.

رابعا: دخول الأندلسيين إلى فاس أمر أساسي؛ ليس فقط لكونها مركز فكري بل لأنها كذلك معبر جغرافي رئيسي للمرور نحو مراكش وباقي المدن المغربية.

لكل هذه الاعتبارات ارتأينا التأكد منها بشكل أوضح وذلك بالمقارنة بين مدينة فاس ومدن تضاهيها في الأندلس؛ سواء من حيث القيمة الفكرية والحضارية أو من حيث البنية الديمغرافية، مثل مدينة قرطبة ومدينة إشبيلية، لنستنتج أن هناك شبه تكافئ في عدد الرحلات العلمية المتبادلة بين فاس وقرطبة من جهة وبين فاس وإشبيلية من جهة أخرى، حيث تكاد تتساوى أعداد المرتحلين من وجهة إلى أخرى خلال فترة الدراسة.

إن زيارة العلماء الأندلسيين لمدينة فاس لم تقتصر على طلب العلم فقط؛ بل وكذلك نشره، فقد تولى العديد منهم مناصب كالتدريس أو القضاء أو الإمامة أو الخطابة، ومنهم من استقر بها بصفة نهائية، وهو ما جعل أبناء فاس يتأثرون بثقافتهم وأدبهم وينهلون من علومهم.

ولعل أهم ميدان استطاع العلماء الأندلسيين من خلاله التأثير في علماء وطلبة فاس وكذا مجتمعها كان هو ميدان التدريس؛ فقد مارس عدد لا يستهان به من المرتحلين الأندلسيين مهمة التدريس بجوامع ومساجد فاس، فاستفاد منهم أبناء المدينة وأخذوا ينهلون من علومهم وثقافتهم وآدابهم، حتى أن بعضهم اقتصر عن الرحلة في طلب العلم إلى بلاد الأندلس بهؤلاء العلماء الذين زخرت بهم المدينة كابن الحجاج بن نموي (ت 614هـ) "إذ كان لا يرد على فاس عالم إلا لقيه وأخذ عنه. فكان بعض المصنفين يدعونه بالظاعن المقيم[66]".

ونشطت حركة تدريس الأندلسيين بفاس خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، فمنهم من أقام بالمدينة بصفة نهائية و مارس هذه المهمة مثل أبو العباس أحمد الأنصاري (توفي حوالي 500هـ)[67] الذي **سكن** فاس ودرس بها، و أبو بكر بن أبي الدوس (ت. 511هـ)[68] الذي **استقر** بفاس وانتفع به طلبتها، و أبو القاسم خلف بن محمد بن غفول (ت. 520هـ)[69] **سكن** مدينة فاس وأخذ عنه الكثير من طلابها، و أبو ذر مصعب الخشني (ت. 604هـ)[70] الذي **استوطن** مدينة فاس، وأقام بها يقرئ العربية ويدرس، وغيرهم من المدرسين الأندلسيين ممن اعتنى بتدريس اللغة والفقه وكذا كتاب الله العزيز.

في المقابل فضل بعض الأندلسيين الجلوس للإفادة بفاس بصفة مؤقتة، مثل محمد بن خليل القيسي (ت.570هـ)[71]؛ الذي **استقر في فاس فترة** وانتفع منه عدد من طلابها، ومحمد بن طاهر الأنصاري (ت. 580هـ)[72]؛ الذي انتقل **للإقامة في مدينة فاس فترة**

من الزمن، فتصدر للإقراء فيها، وعبد الله الحجري الأليري (ت. 591هـ)[73]، انتقل إلى مدينة فاس **ردحا من الزمن** يقرئ ويسمع فيها.

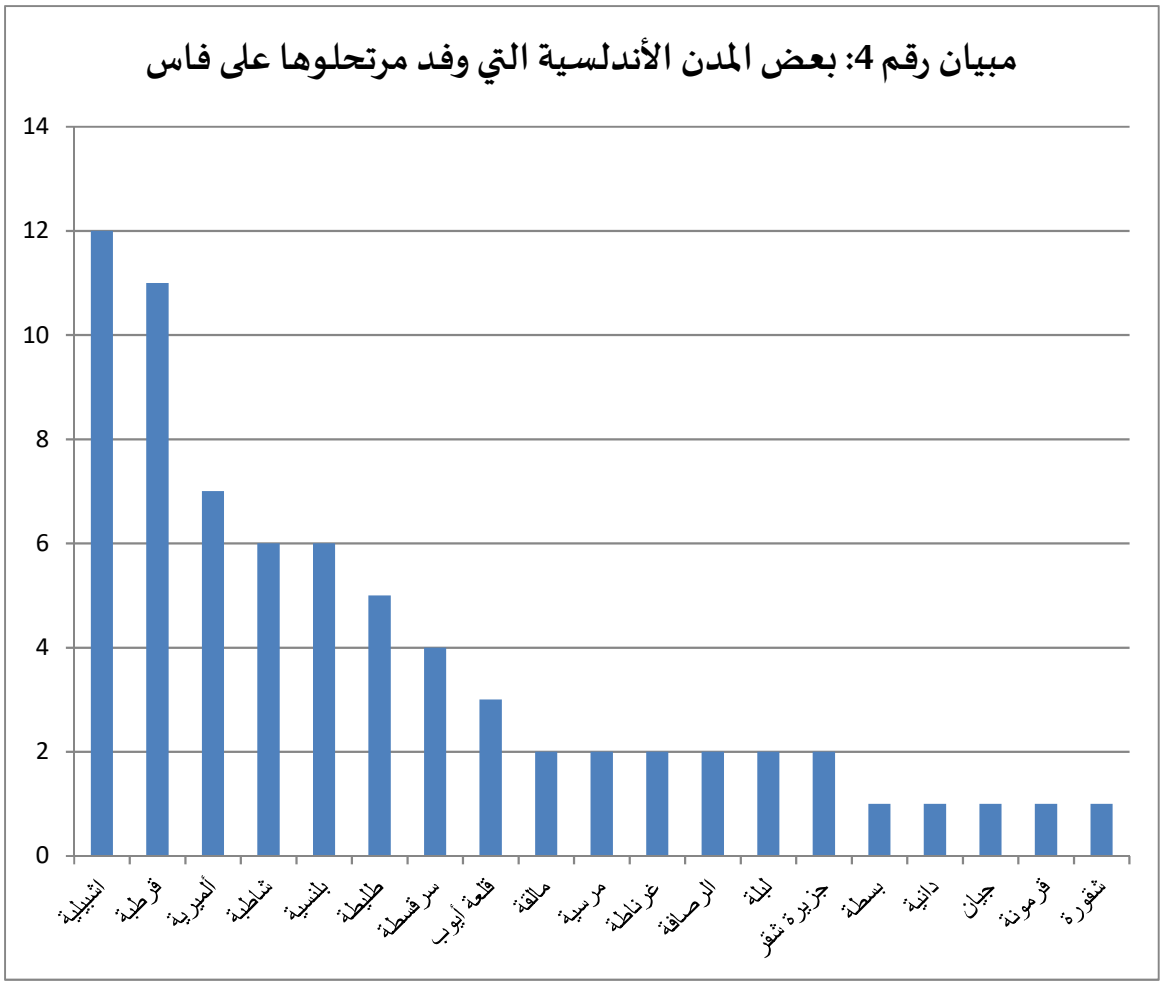

خلاصة:

استقطبت مدينة فاس رحلات علمية في مختلف الفترات التاريخية خاصة من قبل الأندلسيين الذين اعتبروها وجهة رئيسية للإفادة والاستفادة فقدموا عليها من مختلف المدن حيث أحصينا أكثر من 20 مدينة أندلسية زار علماءها مدينة فاس وجلسوا في مراكزها الفكرية كجامع القرويين أو الأندلس أو باقي مساجد الأحياء وخلقوا جوا مفعما بالعطاء العلمي إلى جانب علماء فاس فحدث التأثير والتأثر.

هذه العلاقات الثقافية بين علماء مدينة فاس وعلماء المشرق والأندلس أسهمت في تكوين شخصيتها الفكرية والعلمية والثقافية، وشجعت علماءها على الارتحال نحو وجهات مختلفة كالمشرق والأندلس، فأصبحت ذات إشعاع فكري وعلمي ومن المراكز الثقافية البارزة في العالم الإسلامي.

الهوامش:

[1] علي بن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، 1420هـ/1999م، ص45.

[2] أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي، **كتاب البلدان**، المكتبة المرتضية ومطبعتها الحيدرية، 1918، ص 114.

[3] الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ج1، ص246.

[4] عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق، محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1، 1949، ص 357، 358.

[5] علي بن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب**، م.س، ص35.

[6] لعل ما يدل دلالة صريحة على كثرة الوافدين على فاس من افريقية هو وجود باب بهذا الاسم فأول باب أسسه المولى إدريس بعدوة القرويين، ينسب للساكنة الآتية من إفريقية، وبالضبط من القيروان، وإليهم تنسب العدوة ككل، ويرجح أنهم استقروا في البداية بمحاذة الباب فنسب إليهم ويعرف بباب إفريقية، طارق يشي، **أبواب وأسوار مدينة فاس خلال العصر الوسيط مقاربة طبونيمية تاريخية**، تقديم عبد الإله بنمليح وإبراهيم القادري بوتشيش، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2019، ص33.

[7] ابن أبي زرع، **الأنيس**، م.س، ص 45.

[8] ابن أبي زرع، **الأنيس**، م.س، ص40.

[9] بشير رمضان التليسي، **الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي**، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى،2003 ص 240.

[10] عبد الهادي التازي، **جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس**، الطبعة الثانية، دار نشر المعرفة، الرباط، 2000م، ج1، ص 111.

[11] إسماعيل ابن الأحمر، **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 23.

[12] هاشم علوي قاسمي، **مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري منتصف القرن العاشر الميلادي**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1995، ج2، ص476.

[13] عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، ج1، م.س، ص 153.

[14] أحمد ابن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ج1، ص 252.

[15] ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج1، ص252- 253؛ محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني، حمزة بن محمد الطيب الكتاني، محمد بن علي الكتاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2004، ج3، ص375.

[16] عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص160

[17] يوسف بن يحي التادلي المعروف بابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق أحمد التوفيق، منشورا كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 22، الطبعة الأولى، 1984، ص 72.

[18] عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، ج1، م.س، ص160.

[19] نفسه.

[20] نفسه.

[21] المركشي، **المعجب**، م.س، ص178.

[22] نفسه، ص179.

[23] نفسه، ص184.

[24] عبد المجيد النجار، **المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، 1982 ص97.

[25] البيدق، **أخبار المهدي**، م.س،ص 23.

[26] ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، م.س، ج1، ص255

[27] عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص 161.

[28] نفسه، ص163.

[29] نفسه، ص164.

[30] ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، م.س، ج2، ص498.

[31] عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص165.

[32] نفسه، ص166.

[33] ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، م.س، صص 183- 184.

[34] عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص167.

[35] التادلي، **التشوف**، م.س، ص 135.

[36] التميمي الفاسي، **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، الطبعة الأولى، مطبعة طوب بريس الرباط،2002،ج2، ص 171- 173

[37] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، م.س، ص352.

[38] ابن الزيات، **التشوف**، م.س، ص283؛ عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص174.

[39] عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص172

[40] ابن الزيات، **التشوف**، م.س، ص 345؛ ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج1، ص274.

[41] فاتن كوكة، **التصنيف اللغوي والأدبي في عصري المرابطين والموحدين 484هـ/ 670هـ**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة دمشق 2012م، ص 126؛ عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص177.

[42] ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج2، ص444.

[43] ابن الزيات، **التشوف**، م.س، ص 345؛ ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج1، ص274

[44] عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص178.

[45] نفسه، ص179.

[46] عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، لبنان، 1962، ج1، ص147.

[47] عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص180.

[48] ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج1، ص 168.

[49] عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص181-182.

[50] عبد الله كنون، **النبوغ المغربي**، م.س، ج1، صص 153- 154.

[51] ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب**، م.س، ص91؛ عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، ج1، م.س، ص186.

[52] ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج2، صص 183- 184.

[53] ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج2، ص430.

[54] ؛كنون، **النبوغ المغربي**، م.س، ج1، ص 154- 155؛ عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص183.

[55] عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص187.

[56] نفسه، ص187.

[57]كنون، **النبوغ المغربي**، م.س، ج1، صص 170- 171؛ عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص188.

[58] المراكشي، **المعجب**، م.س، ص504.

[59] ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب**، م.س، ص352.

[60] المراكشي، **المعجب**، م.س، ص508.

[61]التميمي، **المستفاد**، م.س، ج2، ص 171- 173؛ عادل النويهض، **معجم أعلام الجزائر**، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1971، ص 164.

[62]ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج2، ص552- 553؛ عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص160.

[63] Terrasse Henri, **Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat Français**, tome I, Casablanca, éditions Atlantides, 1949, p118.

[64] ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج2، ص532

[65] إيمان بنت دخيل الله العصيمي، **العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة (201هـ – 897هـ) / (817م – 1492م)**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستر في التاريخ الإسلامي، تحت إشراف وفاء عبد الله المزروع، جامعة أم القرى قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 2009، ص226.

[66]المراكشي، **الذيل والتكملة**، م.س، ص 345.

[67]ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج1، ص137.

[68]نفسه، ج1، ص654.

[69] الكتاني، **السلوة**، م.س، ج3، ص161.

[70]ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، م.س، ص91؛ علي ابن أبي زرع الفاسي، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، د.ت، صص42- 43- 82.

ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، م.س

[71] عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، م.س، ج1، ص170.

[72]ابن القاضي، **الجذوة**، م.س، ج1، ص 168.

[73] نفسه، ج2، صص 327- 328.